

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[74] وفي ذلك الوضع كان البعض من اليهود حين يتذكرون سلطتهم القوية السابقة، كانوا يقولون استهزاءً وسخرية – إنَّ يد الأ أصبحت مقيدة بالسلاسل (والعياذ بالأ) وأنَّه لم يعد يعطف على اليهود! ويقال: أنَّ المتفوه بهذا الكلام كان الفخاس بن عازوراء رئيس قبيلة بني القينقاع، أو النباش بن قيس كما ذكر بعض المفسِّرين. وبما أنَّ سائر أبناء الطائفة اليهودية أظهروا الرضى عن أقوال كبار قومهم هؤلاء، لذلك جاء القرآن لينسب هذه الأقوال إلى جميعهم، كما تقول الآية: (قالت اليهود يد الأ مغلولة...). ويجب الإِنتباه إلى أنَّ كلمة (اليد) تطلق في اللغة العربية على معان كثيرة ومنها (اليد العضوية) كما أن معانيها (النعمة) و(القدرة) و(السلطة) و(الحكم)، وبديهي أنَّ المعنى الشائع لها هو اليد العضوية. ولما كان الإنسان ينجز أغلب أعماله المهمَّة بيده، فقد أطلقت من باب الكناية على معان أُخرى. وتفيدنا الكثير من الرِّوايات الواردة عن أهل البيت(عليهم السلام) أنَّ هذه الآية تشير إلى ما كان اليهود يعتقدون به حول القضاء والقدر والمصير والإِرادة، حيث كانوا يذهبون إلى أنَّ الأ قد عين كل شيء منذ بدء الخليقة، وأنَّ كل ما يجب أن يحصل قد حصل، وأنَّ الأ لا يستطيع من الناحية العملية إيجاد تغيير في ذلك(1). وبديهي أنَّ تنمة الآية التي تتضمن عبارة (بل يده مَبسوطتان) – كما سيأتي شرحه – تؤيد المعنى الأوَّل، كما يمكن أن يقترن المعنى الثَّاني بالمعنى الأوَّل في مسير واحد، لأنَّ اليهود حين أقل نجم سلطانهم، كانوا يعتقدون أن هذا الأفول هو مصيرهم المقدر، وأنَّ يد الأ مقيدة لا تستطيع فعل شيء أمام هذا المصير. والأ تعالى يرد على هؤلاء توبيخاً وذمماً لهم ولمعتقدهم هذا بقوله: (عُلِّتْ 1 – تفسير نور الثقلين، ج 1، ص 649، تفسير

البرهان، ج 1، ص 486.